طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي

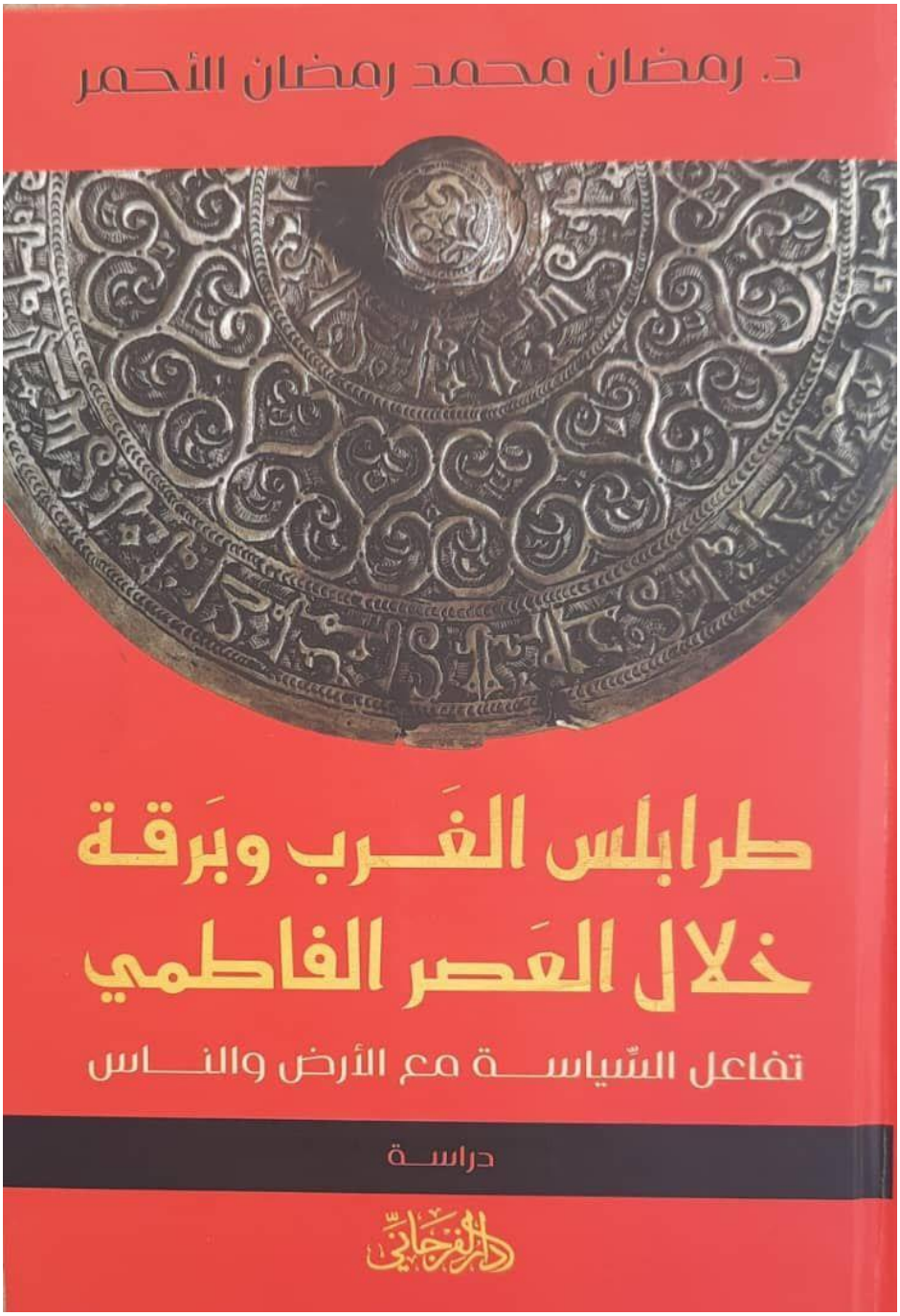
(297ـ 443هـ / 909ـ 1051م)

دراسة تاريخية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

(تفاعل السياسة مع الأرض والناس)

عرض : أ .جمعة المهدي كشبور

أستاذ مشارك بقسم الآثار


د. رمضان محمد رمضان الأحمر
طرابلس الغَرب وبَرقة
خلال العَصر الفاطمي
تفاعل السّياسة مع الأرض والناس
دراسة
دار الفرجاني

المؤلف : الدكتور . رمضان محمد رمضان الأحمر ، أستاذ مساعد بقسم التاريخ / جامعة بنغازي،حصل على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،من جامعة بنغازي (قاريونس سابقا) سنة 2010م، و حصل على الدكتوراة في تخصص تاريخ وحضارة إسلامية ،من جامعة ملايا (UM) بماليزيا سنة 2019م،له أهتمامات بحثية في التاريخ الإسلامي والمخطوطات العربية القديمة،صدر له كتاب في طبعتين عن الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية ، إلي جانب العديد من البحوث والمقالات المنشورة في دوريات ومجلات عربية و أجنبية،ومشاركات في المؤتمرات التاريخية المحلية والخارجية .

الناشر : دار الفرجاني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2023 م .

الكتاب من الحجم المتوسط 24.5 سم × 17.5 سم .

عدد الصفحات : 500 صفحة .

عدد فصول الكتاب : ستة فصول ، كل فصل منها تضمن ثلاثة مباحث .

الوصف الخارجي للكتاب : غلاف كرتوني سميك ذو لون أحمر .

الواجهة الأمامية : تحمل عنوان الكتاب مختصرًا ،وبخط أصفر اللون ،مع ذكر لاسم المؤلف والناشر ،أما من حيث التصميم فتسيطر على واجهة الكتاب صورة للنصف السفلي من مرآة فضية تعود للعصر الفاطمي ، مقتنيات متحف بناكي للفن الإسلامي Benaki Museum of Islamic Art بمدينة أثينا . اليونان ، أهم ما يميزها الزخارف النباتية والكتابات الكوفية المورقة، المتضمنة لعبارات دعائية لصاحبها (نعمة كاملة وعافية وسلامة وعظمة) غير أنه يعاب على مصمم الغلاف وضعه لصورة المرآة معكوسة الإتجاه.

الواجهة الخلفية : وهي أيضا حمراء اللون ،يعلوها رسم للقصر الفاطمي المحصن، الموجود بمدينة اجدابيا الليبية ، باعتباره أحد الاستراحات التي نزل بها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ،أثناء انتقاله من المنصورية إلي عاصمة ملكه الجديدة القاهرة سنة 361 هـ ، وهذا الرسم نفذه في الأصل الرحالة ريمون باشو J.R.Pacho عندما زار المكان سنة 1824م ونشره في كتابه Relation d` un Voyage dans La Marmarique ويكتسب هذا الرسم أهميته من كونه يقدم لنا وثيقة تعكس الحالة التي كان عليها القصر الفاطمي ،منذ مائتي سنة مضت،عندما كان في وضع أفضل مما هو عليه اليوم ، وأقرب إلي الوضع الذي شيد عليه زمن الفاطميين .

وإلي الأسفل من رسم القصر دون المؤلف نبذة تعريفية بكتابه جاء فيها :

منذ أن أعلن الفاطميون عن قيام دولتهم الجديدة في أفريقية (تونس) في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ،رأوا في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة (ليبيا) أهمية كبيرة لمشروعهم العسكري والسياسي والمذهبي في العالم الإسلامي شرقه وغربه ، حيث كانت طرابلس استراتيجيًا هي بوابة الدخول لإفريقية ،وبلاد المغرب الإسلامي كله لاولئك القادمين من المشرق ، في حين كانت برقة جغرافيًا هي بوابة الدخول لمصر ، وبقية بلدان المشرق الإسلامي لأولئك القادمين من المغرب ، فهما يمثلان العصب الحيوي الذي يربط ما بين المشرق والمغرب ،والجسر الأرضي الوحيد الآمن لتحقيق أحلام الفاطميين السياسية ،وأمانيهم الواسعة في التوسع ،ومد سيطرتهم على كل أقاليم العالم الإسلامي ، ومحاولتهم نشر مذهبهم الشيعي فيها ، فكان نجاح مشروع الفاطميين في المنطقة متوقفًا على السيطرة على الإقليمين والمحافظة على استتباب الأمور فيهما ، وهذا ما عمل الفاطميون على تحقيقه بمجرد قيام دولتهم الناشئة في أفريقية ، وتحت حكم الفاطميين وسيطرتهم شهدت أرض طرابلس وبرقة وسكانها زخمًا جديدًا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، جاء كونه مواكبًا لمتطلبات الدولة الجديدة

،وتطلعاتها الواسعة ، تجسيدًا حقيقيًا لاندماج السياسة مع الأرض والناس ، وتفاعلها مع البيئة المحيطة والمجاورة .

الإهـداء : استهل المؤلف كتابه بالبسملة ،ثم إهداء خَصَّ به كُتَّاب ليبيا ومؤرخيها المعاصرين الأوائل :

الطاهر أحمد الزاوي ، محمد مصطفى بازامة

علي مصطفى المصراتي ، خليفة حسين التليسي

الذين فاح . ولا يزال يفوح . من كتاباتهم عشق الوطن وتعبق من أسطرها العزة به ....

وافتتح المؤلف كتابه بتصدير من 7 صفحات ،و توطئة من 9 صفحات ،وذيله بخاتمه اشتملت على خلاصة البحث ونتائجه في 10 صفحات ، بالإضافة إلي مجموعة فهارس ،منها فهرس للخرائط و آخر للأشكال وثالث للصور و رابع للمحتويات.

الدراسة التحليلية للكتاب

فكرة الكتاب وتطورها :

ذكر المؤلف وهويقدم لكتابه أن فكرة إعداد هذه الدراسة ومضت عنده سنة 2012 م، عندما صدر له كتابه الأول تحت عنوان (الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية) ففرحته يومها بكتابه الجديد ،خالطها شيء من الإحساس بالتقصير ،باتجاه بلاده و تاريخها ،وساوره حينها شعور بأنه خذلها من غير قصد ، لان ليبيا كانت الأولى بدراسة تاريخها الإسلامي ، فمصر كانت . ولازالت . تزخر بالبحاث والكُتاب الذين تناولوا كل عصورها وفتراتها و موضوعاتها التاريخية ،بالبحث والدراسة والتأليف ، بينما ليبيا في أمس الحاجة لجهود أبنائها في الكشف عن ماضيها ، وسير

من نزلوا بها واستوطنوها ،لاسيما أن تاريخ ليبيا خلال العصور الإسلامية الوسطى ،وفي الحقبة الفاطمية بالذات ، تعاني من النقص الشديد في مادته التاريخية .

وتحت تأثير هذه المشاعر والقناعات تولدت لدى المؤلف فكرة الكتابه عن تاريخ ليبيا خلال الحقبة الفاطمية، فكان موضوع أطروحته للدكتوراة بعنوان (الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي : دراسة تاريخية (297 ـ 443 هـ) ، أجازتها أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا الماليزية ،في الثاني من يوليو 2019م ، وقد أدرك المؤلف بعد حين أنه من المفيد للمكتبة التاريخية الليبية ،أن يرى هذا الجهد العلمي المبذول النور ، بدل أن يظل رهين الجامعة و صاحبه ، فيطبع في كتاب يكون في متناول الجميع ،فتعم بذلك الفائدة ،ويصبح نطاق انتشاره والاستفادة مما حوته الأطروحة ،من معلومات قيمة ،وما عالجته من قضايا ،وماتوصلت له من نتائج ،أوسع وأشمل ،يرجع إليه عامة القُرَّاء وطلبة العلم والمتخصصون ، ولتكتمل حلقات الموضوع المدروس ،وتغطي مادته جميع الجوانب التاريخية والحضارية،المتعارف عليها ، قرر الباحث أن يضيف لخطتها ،فصلين كاملين ،أولهما عن جغرافية البلاد ،والثاني عن أوضاعها السياسية خلال العصر الفاطمي ، لا يقل أحدهما أهمية عن الأخر ، ويعيد النظر مرة أخرى في تنسيق وتقسيم ما حوته الأطروحة من فصول ومباحث ،بحيث تتلاءم مع شكلها الجديد على هيأة كتاب ، بل إن الأمر تطلب منه إجراء تعديل على العنوان نفسه (قارن مابين عنوان الأطروحة والكتاب) .

الهدف من الكتاب و أهميته :

الهدف الأساسي الذي أعد من أجله الكتاب أن هناك خلفية مفقودة من تاريخ سكان الإقليمين خلال العصور الإسلامية الوسطى ، حيث حاول مؤلف الكتاب من خلال فصوله و مباحثه ملءَ هذا الفراغ التاريخي ،وهو ما تطلب منه جمع شتات المادة

العلمية الخاصة بالإقليمين ،التى كانت مبعثرة مابين مصادر التاريخ الإسلامي العام، ومصادر تاريخ مصر الإسلامية، ومصادر تاريخ المغرب الإسلامي ، وغيرها من كتب الرحالة والجغرافيين والحجاج والعابرين ،وما أسفرت عنه بعض المكتشفات الأثرية من مخلفات تلك الفترة .

وتكمن أهمية موضوع الكتاب في أن تاريخ طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي ،لم يعالج من قبل ،كونه موضوعا مستقلا بذاته ،ولم تسلط عليه الأضواء بدرجة كافية ، فاغلب ما كان موجودًا ،هو مجرد فقرات ومقالات قصيرة مبعثرة ،في حشد متنوع من الكتب والمؤلفات التاريخية العامة سواء عن المشرق أم عن المغرب .

ويزيد من أهمية الكتاب أنه قد يفيد في توضيح بعض القضايا التاريخية منها على سبيل المثال ؛ معرفة كيفية تأثير الفاطميين على سكان الإقليمين ،في بعض النواحي الاجتماعية التي لا تزال متوارثة عند بعض الأهالي الحاليين من سكان ليبيا ، وفشلهم في المقابل في نواح أخرى ،كعدم قدرتهم على نشر المذهب الشيعي بينهم ،الذي لا نجد له أي وجود أو قبول بين أغلب أهالي الأقليمين سواء في العصر الفاطمي أو غيره.

فصول ومباحث الكتاب :

الفصل الأول : جغرافية إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي .

ويحتوي على ثلاثة مباحث هي :

- الموقع والتسمية والحدود الجغرافية والتاريخية .
- التضاريس والمناخ .
- أشهر المدن والقرى والواحات المكونة للإقليمين .

الفصل الثاني : الأوضاع السياسية في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي . ويتضمن ثلاثة مباحث هي :

- قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وسيطرتها على إقليمي طرابلس الغرب وبرقة
- أوضاع طرابلس الغرب السياسية بين بني زيري الصنهاجيين وبني خزرون الزناتيين في ظل الخلافة الفاطمية .
- أوضاع برقة السياسية بين بني زيري الصنهاجيين وعرب بني قرة في ظل الخلافة الفاطمية .

الفصل الثالث : الزراعة والرعي والصناعة في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي .

ويحتوي على ثلاثة مباحث هي :

- الزراعـة .
- الرعـي وتربيـة الحيوانات .
- الصناعة والحرف اليدوية .

الفصل الرابع : التجارة والنظم الاقتصادية في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي .

ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي :

- التجـارة
- المؤسسات الاقتصـادية .
- السياسات المالية .

الفصل الخامس : المجتمع في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة و أسس تكوينه خلال العصر الفاطمي .

- عناصر السكان .
- طبقات المجتمع .
- المرأة ودورها في المجتمع .

الفصل السادس : مظاهر الحياة الاجتماعية في إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي .

- أحوال المعيشة (الأغذية ،الألبسة ، المساكن)
- الأوضاع الاجتماعية العامة .
- المناسبات الأسرية والاحتفالات والاعياد الدينية .

قائمة المصادر والمراجع :

اشتملت هذه القائمة الطويلة على المؤلفات التي استمد منها الباحث مادة كتابه ، وقد قسمها وفصلها على النحو التالي ، مراعياً في ذلك القواعد والأسس المتعارف عليها في تصنيفها :

المصادر المخطوطة و عددها 10 . **المصادر المطبوعة و عددها 143 .**

المراجع العربية و عددها 119 . **المراجع المعربة و عددها 29 .**

المراجع الأجنبية و عددها 4 .

المجلات والدوريات والندوات والمؤتمرات العلمية العربية وعددها 43 .

المجلات والدوريات والندوات والمؤتمرات العلمية الأجنبية وعددها 3 .

الموسوعات و المعاجم ودوائر المعارف وعددها 17 .

الرسائل العلمية الغير منشورة و عددها 8 . المواقع الإلكترونية وعددها 4 .

كلمة أخيرة في حق الكتاب :

منذ الأيام الأولى لصدور هذا الكتاب سعيت لامتلاك نسخة منه ،وكانت سعادتي به كبيرة ،فقد قضيت في قراءته أوقات ممتعة ومفيدة للغاية ،وشعرت بالجهد العظيم الذي بذله الباحث في تأليفه ،معتمدا في ذلك على رصيد ضخم من المعلومات التاريخية ،وغير التاريخية ،عن إقليمي طرابلس الغرب وبرقة خلال العصر الفاطمي ،أستقاها من عدد كبير من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوعه ، ومستعينا بما حباه به الله من قدرة على السرد التاريخي المنظم لمجريات الأحداث ،والطرح العلمي الموثق لموضوعات كتابه وأفكاره ، وهو ما أنتج لنا . في رأيي . مرجعًا مميزًا ،يسلط الضوء على حقبة مهمة في تاريخ ليبيا في العصور الوسطى،اتفق المؤرخون على وصفها بالعصر الفاطمي ، نسبة للدولة الفاطمية التي ظهرت في المغرب وامتدت نحو الشرق ،باعتبارها واحدة من أكثر الدويلات الإسلامية شهرة وفاعلية ،شكلت ليبيا بإقليميها طرابلس الغرب وبرقة ،جزء مهمًا من أمتدادها الجغرافي والحضاري ولعبت دورًا بارزًا في مجريات تاريخها ، سواء قبل انتقالهم لمصر أو بعده .

لا شك في أن صدور هذا الكتاب ،سيساهم في سد فراغ كبير في المكتبة التاريخية الليبية لطالما شعرنا به ، وانتظرنا من يتصدر له من الباحثين الجادين ،فيجمع شتات مادته من متون المخطوطات والكتب والوثائق ،و يعيد النظر في محتواها ،ويجتهد في أستكمال ما فيها من نقص ،ومناقشة ما اشتملت عليه من آراء ، فضلًا عن معالجة القضايا الشائكة والمتداخلة ،والروايات الغريبة، وتصحيح ما أشتملت عليه من أخطاء ،ومن ثم يعيد سرد تاريخها بشكل علمي منظم، ولغة سليمة سهلة الفهم ،جيدة الأسلوب

،تكون عونًا للقارىء على تتبع الأحداث وفهمها ، وتساعد الباحثين الجدد ،وطلاب العلم والمعرفة ،على الوصول لمبتغاهم منه بكل يسر .

ولعلني لا أبالغ إذ قلت بأن المؤلف قد وفق إلي حد كبيرفي الإتيان بشيء مما ذكرناه آنفًا ، وأنجز لنا عملاً سيظل لفترة طويلة ،مرجعًا وعونًا لكل باحث في تاريخ ليبيا الإسلامي ، وإن تجمعت لدي بعض الملاحظات حول الكتاب ،وهي حتمًا لا تنقص من شأنه ،إلا أنني آثرت أن لا أتطرق لها هنا،في هذه المساحة المخصصة عادة ،لعرض الإصدرات الجديدة والتعريف بها ، بعيدا عن المراجعات النقدية .